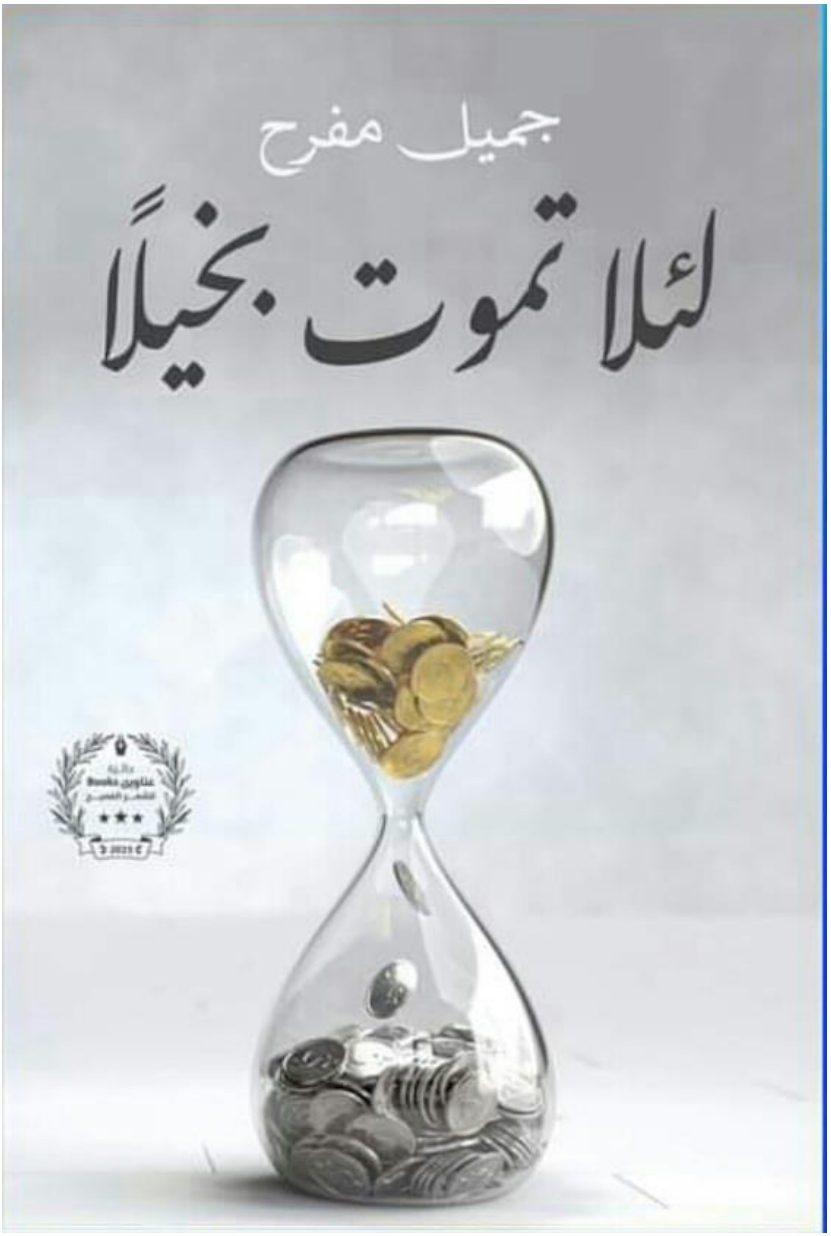
جميل مفرح
لئلا تموت بخيلًا

دار نشر
عناوين
BOOKS
رؤية عصرية للنشر

www.anaweenbooks.org
info@.anaweenbooks.org
anaweenbooks

الكتاب	لئلا تموت بخيلا
اسم المؤلف	جميل مفرّح
رقم الطبعة	الطبعة الأولى / 2024
المقاس	21.5×14.5

رقم الإيداع: 331/ 2023
الترقيم الدولي: 978-1-916863-26-2

جميع حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة للناشر
الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبِّر بالضرورة عن وجهة نظر الدار

جميل مفرّح

لئلا تموت بخيلاً

شعر

دار نشر
عناوين
BOOKS
رؤية عصرية للنشر

جميل مفرّح

لئلا تموتَ بخيلا...

شعر

ما لم يكنْ مُمكناً...

أنَّني عندما أتلقَّى هديرَكِ

لا أهتدي..

دائماً أستجيرُ بكفَّيكِ،

أطويهما في خيالي كأنشوطتَينِ

وأهوي إلى جوهرِ الارتقاءْ.

أنا الآنَ

فوق جموحِ الخيالِ،

أُرتب مُتَّكأً لائقاً بمكوثي..

وأبدأُ أسردُ للغيبِ أسطورتي

كفتىً قادمٍ من وراءِ المحالِ..

وشيخٍ ترهبنَ

من أجلِ أن تستغيثَ بهِ امرأةٌ،

دمُها مشبعٌ بضجيجِ البغاءْ..

روائحُها تستردُّ الخلودَ..

تطوّحُ بالذِّكرياتِ، فيسقطُ

من سقفِها وَلَهُ الأشقياءْ.

المجرَّاتُ مُطفأةٌ

كلُّها تحت عينيَّ إلا أنا

وهناك سديمٌ مُهابٌ،

ولألأةٌ..

حجرٌ نائمٌ،

بل فتىً من وميضٍ..

هنالك صوتُ ملائكةٍ،

وبوحُ حريرٍ، خريرُ غِناءْ.

هنالك كفَّان أيضاً

تقاسمتا محبساً ضائعاً،

فتلاشى التَّلامسُ بينهما

وانحنى الانحناءْ.

هنالك نصفُ براقٍ

لأمنيةٍ كنتُ أغزلُ أشعارَها

وأصفِّفُ من حولِها غزلَ الاشتهاءْ.

المجرَّاتُ تحتي..
ولكنَّها الآنَ مُطفأةٌ
وأنا مُطفأٌ والفضاءُ انطفاءْ.

هناك ملائكةٌ يغسلون ملابسَهُم
بدموعِ الإلهِ، ويطوونها
في رفوفِ الولاءِ له..
يقنتون،
ينثُّون عني غبارَ المسافاتِ،
وعثاءها، كلفةَ الغرباءْ.

هناك وحوشٌ، لِحىً
من شواظٍ، قبابٌ، عمائمُ:
خضراءُ، بيضاءُ، سوداءُ..
أضرحةٌ، ومقاماتُ زيفٍ، وأدعيةٌ..
مُطربونَ، جَوارٍ، فلاسفةٌ،
وتماثيلُ للأدباءْ.

إذا لم يكنْ مُمكناً
أن أصدِّقَ أني ارتفعتُ كثيراً
عن الكونِ،
حتى انتهى -قبل أن أبتدي-
عالمُ الانتهاءْ.

فلا بدَّ لي أن أفكِّرَ في أن أدوسَ
المجرَّاتِ تحت فضولي..
وأركلَها كي تضيءَ، ويلمعَ
من قلبِها حجرٌ قرمزيٌّ، مُتبَّلةٌ
كل أسمائهِ بخليطِ البهاءْ.

أنا حجرٌ خالدٌ

لا مواقيتَ تؤذي انتظاراتِهِ

لا مخافاتِ مظلمةً تستبدُّ به،

لا عيونَ تراقبُهُ في محيطِ البقاءْ.

أنا الآنَ لستُ أنا..

فالأنا سُلَّمُ الشَّهواتِ

إذا ما تعرَّتْ ترامى الوجودُ

على بعضِهِ الهشِّ

مُعتقِداً بالخطايا الحِسانِ،

بكلِّ مُحرَّمةٍ تبلغُ الاشتهاءْ.

أنا الآنَ غير أناي

التي لم تكُنْ كلَّ هذا الهباءْ..

أنا الآنَ بيني وبيني مسافةُ

أسطورةٍ، وتعاويذُ بترى،

تراثٌ قديمٌ، خرافاتُ مستقبلٍ

غارقٍ في العناءْ.

أنا الآنَ أُغرقُ في الابتداءْ..
أسنُّ حوافَّ المشيئةِ،
أستشعرُ الغيبَ، أقطفُ
مِن كلِّ شاردةٍ زهرةَ الاحتفاءْ.

أنا الآنَ ...،
عدتُ فقط لأودِّعَ نفسي..
أحاولُ أن أستثيرَ غيوبي فريداً..
وأهربَ مما يحيكُ النهاياتِ
أو يستلذُّ نبيذَ الفناءْ.

أنا ضالعٌ في الخطيئةِ..
أعلمُ أنّ الخطيئةَ أنضجُ مني
وأبرعُ في الكيدِ للأبرياءْ.

و....،

لستُ وحيداً ولا كنتُ آدمَ

لكنَّني واحدٌ مفردٌ

جاء في حشدِهِ

حكماءٌ كثيرٌ،

فلاسفةٌ، وشياطينُ أيضاً

يجيدون حين يشاؤون

فذلكةَ الأنبياءْ.

أنا الآنَ..

حيثُ أريدُ تماماً

أُلَمّعُ نافذتي بين بالَين..

أزرعُ في شُرفتي شجراً غامضاً،

ليس فيه من الاشتجارِ

سوى الالتواءْ..

أسقِّي هناك -بعيداً

عن الافتراض- الزهورَ

التي ضاع منها

تسلسلُها لحظةَ الاهتداءْ.

أنا الآنَ..

حيثُ على هاجسي أن يكونَ،

أهدّئُ من روعِ أسئلتي..

وأعدُّ إجاباتِها بأساليبَ أُخرى،

طرائقَ أُخرى،

قصائدَ أكثرَ عصريَّةً..

وبطيفٍ من الكبرياءِ

الذي يُقنعُ الشعراءْ.

أعيدُ ابتكارَ وجودي

كما لم يكُنْ ربما لفتىً سابقٍ

يتقنُ الادِّعاءْ.

لا رقابَ على مذبحي،
غيرُ ما تستطيعُ الكناياتُ إتْقانَهُ
أو تجيدُ البلاغةُ إضمارَهُ
في رئاتِ الهباءْ.
أنا الآنَ..
في الصَّفحةِ المُشتهاةِ
التي يتعلَّقُ تاريخُها
بتواريخَ وجهٍ تجدَّر بالاختلافِ
وبالاختلاقِ وبالاشتهاءْ.

أوزِّعُ في جدولِ الوقتِ
أحلامَ من فشلوا في التمنِّي
ومرُّوا مرورَ الكرامِ على الابتلاءْ.
سأنسى دبيبَ الكتابةِ،
وَشْوَشَةَ الرَّسمِ..
أنسى امتلاكي زِمامَ الكلامِ..
جميعُ اللغاتِ مُكبَّلةٌ
بحضورِك يا سيِّدَ الأشقياءْ.

أنا الآنَ فوقَ الأوانِ
وكلُّ تفاصيلِ وقتي مُشتَّتةٌ

كغبارِ عجوزٍ
أضاع عصاهُ وعينيهِ..
إنّي هنا فوقَ صهوةِ قلبِكَ،
أدفعُ كلَّ جموحي مقابلَ
معزوفةٍ تنشد الاعتلاءْ.

أنا الآنَ حولَك يا شجني..
أستعينُ بهدْيِكَ
حين يُطلُّ
على لحظتي أو يطيلُ الولاءْ.

أنا الآنَ.....!!

ضاعَ ختامُ القصيدةِ منِّي

وضاعَ الزَّمانُ، المكانُ، القضيَّةُ،

ضعنا معاً في زحامِ البقايا

تساقطَ معظمُنا في خريف الخفاءْ.

الصَّعاليكُ

أيُّها الشُّعراءُ
الذين أباحوا قصائدَهم
للرِّياحِ.. تعالوا بنا
نتحلَّقُ حولَ قصيدتِنا الأمِّ
مثل الصَّعاليكِ..

كان الصَّعاليكُ يجتمعون
ويستدفئون القصيدةَ
في زمهرير
المسافةِ بين بطونِ الجِياعِ
وبين زعيمِ القبيلةِ..

هذا زعيمُ القبيلةِ مستنفرٌ

في تثاؤبهِ..

والرُّعاةُ نيامٌ..

وثَمَّ ذئابٌ على بُعدِ

غفوةِ قلبٍ،

وثَمَّ رياحٌ على بُعدِ

غفلةِ طَرْفٍ،

وثَمَّ طعامٌ على بُعدِ

نومِ ضميرٍ ومدِّ يدٍ..

دعوا الشُّعراءَ

يناموا إلى حينَ ميسرةٍ

ويصوموا عنِ الخوضِ

في جنَباتِ الغوايةِ..

كانَ الصَّعاليكُ أشجعَ منَّا
وكان الصَّعاليكُ أنبلَ منَّا
وكانَ الصَّعاليكُ أشعرَ مِنَّا
وظلَّ الصَّعاليكُ
أرفعَ من أن يكونوا
لنا قدوةً..

الصَّعاليكُ صانوا القصيدةَ
من أن يُخامرَها العِهرُ،
من أن يُلامسَ عِفَّتَها الرقُّ،
خرُّوا لها سُجَّداً
وأهالوا عليها أنيقَ البيانِ،
أجاروا نزاهتَها
واستجاروا بها،
فارتقوا درجاتِ المقامِ الرَّفيعِ..

هُمُ سادةٌ

في أعالي العروشِ..

ونحنُ...؟!

تُرابٌ تُمرّغُهُ الرّيحُ

في العارِ مُنهزِماً

ويموتُ

ذليلا يُقبّلُ نعلَ الكلام..

بنت السَّراب

كانت تشيرُ إلى البعيدِ

وتكتفي بالاتِّكاءِ على هواجسِهِ

فتنهمرُ النجومُ

وربما تتزاحمُ السَّمَواتُ

فوق مجازها العشقيِّ..

تفتحُ صُرَّةَ الماضي السَّحيقِ

وتنتقي من تحت آباطِ الغبارِ

خليطَ فوضاها المُحبَّبةِ

التي اعتادت تلقِّيها

حواسُ الكونِ..

تستجلي بِبسمتِها وميضَ البرقِ،
موسيقى السَّماءِ، وكلَّ قلبٍ
ما تزالُ بهِ مساحةُ
نَقْرةٍ عشقيَّةٍ صُغرى..
وتنشدُ للسَّواقي لحنَها الأزليَّ
تنفخُ في حواشيها،
فينداحُ
التثاؤبُ في اخضرارِ الانتظار..

لأنَّها...

الأنثى التي فَتَقَتْ سماواتي

بخنجرِها الرَّشيقِ..

تباطأتْ في صوغ قِصَّتها

الأخيرةِ،

في تلاوةِ حزنِها المعهودِ،

في إيجادِ كوَّتِها الوحيدةِ

كي تطلَّ عليَّ من هجسي

ومن جسدِ ارتباكي،

من قصائدَ

كنتُ أكتبُها بحضرتِها

فيزهرُ صخرُها..

الأنثى الوحيدةُ

في نساءِ الأرضِ.. كانت

لا تسيلُ على حروفي

دون أن تلقي غوايتَها بساطاً

أو طريقاً مُترفَ الجنباتِ،

تعبرُهُ إليَّ فأستكينُ..

على جبيني
كان خاتمُها يضيئُ
فتستدلَّ به على ولهٍ وليدٍ
لم يكنْ من قبلِهِ العُشَّاقُ
قد كتبوا قصائدَهم
وماتوا في الجوار..

خلاصةُ الأنثى التي جمَّعتُها
منذُ البداياتِ البعيدةِ
أنَّها نصفُ الخُرافةِ
واكتمالٌ باذخٌ،
بل آيةٌ مسرودةٌ في الغيبِ
ليس لها ابتداءٌ أو يخامرُها
انتهاء..
لأنَّها... ولأنَّها...
ولأنَّها أنثىً توارَثَها السَّرابُ
عنِ السَّرابِ عنِ الفناء.

لئلا تموت بخيلا...

أقم حفلةً

متى متَّ..؟!

والموتُ يستأذنُ الشُّعراءَ

إلى موعدٍ لاحقٍ كي يعدُّوا له

حفلةً، ويغنُّوا له

ما استطاعوا من الزفراتِ القديمةِ..

لن يتوقَّفَ عدْوُكَ

أو يستكينَ لهاثُكَ..

مازلتُ أسمعُ كلَّ دعائكَ

ما زلتُ أحضرُ كلَّ نشيدِكَ

ما زلتُ أشهدُ كلَّ احتضاراتِكَ

الملحميةِ في العشقِ والشِّعرِ،

أقرأُ كلَّ قصائدِكَ التافهاتِ

اللواتي شغلنك عنك..

لبسنَ السوادَ،

احتجبنَ بأدراجِ مكتبِكَ

الخشبيِّ العتيقِ،

اعتزلن عن البوحِ،

طلَّقهنَّ التملُّقُ

حين أحطنَ فِراشَكَ دامعةً

بمحاذاةِ أُخرى..

ليس من حقِّكَ الموتُ دون وداعٍ

ودون رثاءٍ تشذِّبُهُ للعزاءِ

الذي لن يكونَ بدونِكَ..

حين تقرّرُ أن تتوقَّفَ عن حَمْلِ

معولِكَ الذهبيِّ

وتُقلعَ عن شجِّ تلك الرُّؤوسِ

انتظرْ ليلةً وتمهَّلْ لأخرى..

لئلا تولِّي بخيلاً...

أقمْ حفلةً برعايةِ موتِكَ

والملكين وشاهدِ قبركَ

وادعُ النساءَ الجميلاتِ

والمُذنبينَ الذين ادَّعوا الشِّعرَ

والمُرجفينَ الذين قضوا جلَّ أعمارِهم

يدفعونَ بأرجُلِهم رهبةَ الموتِ...

ينجونَ منهُ صباحاً

فينتظرونَ وِفادتَهُ في المساءِ..

أقاموا كثيراً من الحفلاتِ

ولم يحضروا...

واعدوه وغابوا

قضوا العُمرَ...

ينجونَ...

ينتظرونَ...

يفرّونَ كالجُبناءْ..

أقِمْ حفلةً..
كافيءِ المُغرَمِين بحُزنِكَ
بالابتسامِ الطريّ،
أعدْ للتملُّقِ كلَّ قلائدِهِ ومدائحِهِ..
ثم قُلْ لن أموتَ على غفلةٍ
من مراسيمِ موتي..

لن أشدَّ متاعي
وأنسلَّ من جسدي
مثل لصٍّ غبيٍّ إلى الضوءِ
والجمهراتِ..
سأنكثُ وعدي وعهدي
وأتركُ للارتعاشِ قوافلَهُ
وانتظاري المُمِلَّ
على ضاحياتِ مدينتنا..

حينما يطرقُ الموتُ أُذني
سأقرصُ أُذنَيهِ
حتى أوفِّرَ بعضَ الليالي..
سيأذنُ لي أن أضيفَ
مزيداً منَ الحسراتِ/القصائدِ
والزفراتِ/الوعودِ..

سأسرقُ
عشرين عاماً إضافيةً
وأظلُّ أواعدُهُ ليلةً بعد أُخرى
إلى أن أرتِّبَ موعدَ قافلتي
ثم نمضي
يداً بيدٍ باسمَينِ
ندوسُ بإقدامِنا كلَّ تلك الرُّؤوس.

انبعاث

ذات يومٍ سأكبرُ

حتى يصيرَ الوجودُ أمامي

مُجرَّد لافتةٍ في جدارٍ

وتغدو الحياةُ كأُغنيةٍ وضَعَتها

ابنةٌ من ضبابٍ،

على شفتيها نبتنا معاً..

سوف أرجعُ

طفلاً كما لم أكُنْ ذات يومٍ

وألعبُ بالغيمِ،

أقذفُهُ يمنةً، يسرةً

وأفيقُ الفصولَ بهِ..

ذات يومٍ..

سأكتبُ شِعراً كما أشتهي

وسأُعلنُ عن كادحٍ كان في الانتظارِ

سيهطلُ كالضوءِ عمَّا قريبٍ

ويسكنُ في الكائناتِ جميعاً..

سينمو جديداً،

غريباً،

طريداً

كأيّ نبيٍّ مضى..

سأُدحرجُ فوق سطوحِ

الكواكبِ أغنيةً..

كان شيخُ القبيلةِ

يغضبُ حين يُردِّدُها فِتيةٌ

صبأوا بالغرامِ وبالشِّعرِ

والكلماتِ الأنيقةِ..

سوف أقولُ لبابِ السَّماواتِ:

لا تنفتحْ قبل أن أنتهي

من كتابةِ وحيي..

تمهَّلْ..

خُذِ الأغنياتِ القديمةَ

واملأ شقوقَ السَّماءِ بها..

لا أريدُ

لشيءٍ منَ الشِّعرِ

أن يتسرَّبَ قبل الأوانِ..

انفتحْ أيُّها البابُ حين

أريدُ فقط،

حين أكتبُ نصِّي الجديدَ

وأُنهي فصولَ كتابي المُقدَّسِ..

سوف أعودُ

فتىً يانعاً لا يشيخُ

ولا يتناثرُ في عارضيهِ

بياضُ القصيدةِ

أو ينتهي عند رجليهِ حدُّ الكلامِ..

سأرجعُ يا شِعرُ...
لستُ الذي ينحني للهزيمةِ
أو يستقي ماءَهُ من صفيرِ الغبارِ..

سأرجعُ يا شِعرُ...
لستُ الذي ينثني للخديعةِ
أو يستعينُ بتكرارِ ما قالهُ العابرونَ..

ستشرقُ يا شِعرُ شمسُكَ
من صفحاتِ
زمانٍ جديدٍ ووحيٍ أجدَّ
ومن لغةٍ لم يكُنْ
قبلَها ما يُقالُ..
ستُبعثُ
عمَّا قريبٍ كما يُبعثُ الأنبياءْ.

ستُّونَ عاماً في محطَّتِها

عشرون عاماً يا صديقتَها

وما زالتْ تُنَقِّبُ في دمي

عن سرِّ نكهتِها..

وكافاييُنها

ما زال يوماً بعد يومٍ يستطيرُ بنا

يوزِّعُ بعضَ بعضينا لبعضينا

ويكتبُ مِن خلائطِنا المُخيفةِ

كلَّ يومٍ قصَّةً كالحُلمِ...،

يغتالُ القصائدَ

قبلَ أنْ نَختارَ منها ما يُرمِّمُ

صَحوَنا ويُطيلُ غَفْوَتَنا

إلى عشرينَ أُخرى.. يا صديقتَها..

* * *

استريحي.. يا صديقتَها ببهوي

ريثما تنداحُ سلَّةُ ذكرياتي

فتِّشي إطراقتي

تجدي أصابعَها الطَّويلةَ

لا تزالُ تُبعثِرُ

اللحظاتِ والكلماتِ والعبَرَاتِ

تمنحُها لكفِّ الرِّيحِ،

للتَّبريحِ،

للألمِ

الذي يتقاسمُ الجسدَانِ سُكَّرهُ..

أصابعُها الفصيحةُ

لا تُفوّتُ بُرهةً ما بيننا

تجتاحُ أسوارَ اللُّغاتِ،

تُشَذِّبُ الكلماتِ صامتةً..

سِنانُ رموشِها تهجو

احتراقاتي وترثي ثلجَها..

ما زالَ في سكَرَاتِ جلستِنا الأخيرةِ

يا صديقتَها كلامٌ لم يُقَلْ

ما زالَ في حَدَقاتِها حُزنٌ غزيرٌ

فيهِ رائحتي وبعضُ مذاقِها...،

ما زالَ في تلك الحِكاياتِ

التي لم نَحْكِها سفَرٌ طويلٌ..

* * *

يا صديقتَها.. استريحي
ريثما يتماسكُ الطَّيرُ الحَزينُ
منِ ارتعاشاتِ السُّقوطِ...،
وريثما تتبرَّجُ اللُّغةُ الخبيئةُ..
لا تلومينا..
سنكبرُ ذاتَ يومٍ
رُبما عشرون ثالثةٌ ستمضي
عَنْ قريبٍ قبلَ أنْ نحبو
ونلثغَ ما يُقالُ..
لعلَّنا سنقولُ في الستِّين
ما لم نستطعْ...،
سأقولُ ما لم تستطيعي أن تُغني
مِنْ قصائدَ أوقدَ الحِرمانُ جذوتَها
وأنتِ ستكتُبينَ بياضَ رأسَينا
قصائدَ لم تزلْ تجترُّ
أدعيةَ الوصولِ
وتنتهي قبلَ الكِتابةِ والكلامِ..
سنلتقي في آخرِ الدَّربِ المُلَغَّمِ بالسُّكوتِ

مُكبَّلَين ببعضِنا
وستُشرِقُ اللُّغةُ البهيَّةُ..
سوفَ يُزهِرُ بيننا وجْهُ الكلامِ
قصائداً عذراءَ
جمَّدتِ العنوسةُ ماءَها وهواءَها
ستِّينَ عاماً مِنْ مواسمِها..
ستجرفُنا السِّنينُ
إلى رصيفٍ عاثرٍ بالخوفِ،
مُلتجِئٍ بصمت الزَّمهريرِ..
* * *
هنا استريحي.. يا صديقتَها
دعيها تسترحْ وأنا على كفِّ الوداعِ
تلمَّسي مِنْ حولِنا الحَسَراتِ والنَّهداتِ..
ذُرِّينا رماداً في عيونِ الرِّيحِ،
مِلْحاً فوقَ جُرحِ الأمنياتِ...،
وودِّعِينا عاشِقَينِ تأخَّرا
ستِّين عاماً
عَنْ قِطارِهُما فَسَارا راحِلَين.

انتحارٌ فاحشٌ

متى سأعبرُ في عروقِكِ

مثلما تجرين في جسدي

فيرتعشُ الكلامُ، يصيرُ شعراً يانعاً

وأصيرُ قدّيساً أنيقاً

عند بابِ قصيدتي؟

أجتازُ خوفي من جفافِ القولِ

حين تُفصّلين عباءتي الأولى

وترتجلين أوَّلِ ما أتاحتهُ

التفاعيلُ الأنيقةُ

عندما طالبتِ منها أن تكونَ

يداً تُرتِّبُنا معاً..

أحتاجُ عمراً كاملاً

لأقولَ شيئاً لم تكوني فيه..

شيئاً لا تطيّرُه صباحاتُ اقتفائكِ

أو تؤوبُ بهِ انسدالاتُ انتظاركِ...

ليس شعراً لائقاً بفتىً

تناثر في الحكايا

ثمَّ أينعَ في تراكيبِ القصيدةِ،

كي تحطَّ عليه ملهمةٌ بحجمكِ..

كيف أعبرُ في خيالِكِ

وامضاً من ذكرياتٍ

مثلما تتمدَّدين على سماواتي

فراسخَ من ضياءٍ ليس يشبهُهُ سواكِ..؟

متى ستثمرُ أغنياتي في غصونِكِ..؟

أنتِ يا لحناً سماويَّ التقاطيعِ

اخفضي صوتَ الأناشيدِ القديمةِ

وارفعي صوتي إذا ناداكِ

من غيبِ التولُّهِ فيكِ..

يا...، إني محبٌّ..

والمحبَّةُ في الحكاياتِ

انتحارٌ فاحشٌ.. مسٌّ.. مخافاتٌ..

خرافاتٌ تُقَصُّ على الصغارِ

لكي يناموا في لحافِ الخوفِ..

قولي يا حبيبةُ كيف أعبرُ

والمسافةُ بيننا ثلجٌ ونارٌ..؟

والقصيدةُ بيننا كومٌ منَ الكلماتِ

والجُمَلِ المُخبأةِ الدفينةِ..؟

والأماني بيننا

صارت رسوماً في الهواء..؟

و...، ...، بيننا

ما بين راقصةٍ وقصةِ مومياء..؟

راقبيني يا حبيبةُ..

قبل أن يُدني النعاسُ فؤوسَهُ

من مقلتيكِ.. تذوَّقيني،

كدِّسي لوني وصوتي،

دوِّني نوحي وبوحي،

باعدي ما بين نيراني وثلجي...

والبقيةُ سوف تنضجُ

حين تحتاجُ القصيدةُ من يبرّجُ وجهَها

ويريدُ توقُّكِ أن يظلَّ على ثمالتهِ

وتعصرَهُ كفوفُ الاشتهاء.

كالأتقياء

للرفضِ لذَّتهُ البعيدةُ..
فامسكي يا نفسُ نفسَكِ
قتِّري في الصَّبرِ
وادَّخري غناءَكِ والتبسُّمَ
للمواجهةِ الوشيكةِ..
ما يزالُ هناك متّسعٌ
وما زالت حروفُكِ
من حنينٍ باذخٍ كالكبرياءْ..

للرفضِ نكهتُهُ
وروحي تعشقُ اللذاتِ
حين تكونُ من ألمٍ وصبرٍ
لا يشوبُهما انهزامٌ
أو يحيطُهما رياءْ..

للرفضِ

جنَّاتٌ مسوَّرةٌ بنبضي

ليس يدركُها جبانٌ أو مهانٌ

أو يرتِّلُ لحنَها إلا الفضاءْ..

للصبرِ سكَّرُهُ وحلواهُ اللذيذةُ

حينما أنهي قصائدَهُ

بقافيتي

وأسلكُ دربَهُ كالأتقياءْ.

يحاصرُني القرويُّ الصَّغير

أتمرَّغُ في الكأسِ ما أستطيعُ
وأغسلُ فيه صدىً
لا يليقُ بمثلي
أُقلِّبُهُ في يديَّ وأسكبُ
في قلبِهِ جرعةً من حنيني إليهِ
ونخبين ممّا أؤمِّلُ تهشيمَهُ
-حينما نتعانقُ- من ذكرياتٍ..

أُصافحُهُ، وأُفتِّشُ في قاعِهِ
عن زمانٍ يُشابهُني
كي يكونَ نديمي
وأرسمُ في طيفِ جدرانهِ
المستديرِ وجوهاً
كتلك التي أخذتني إليهِ
على غفلةٍ من فتىً قرويّ

يُعنِّفُني كلَّما جئتُ

أشكو إليهِ القصيدةَ

والعشقَ والانهماكَ مع اللهِ..

يُوبِّخُني كلَّما قلتُ:

نَمْ في عيوني وَدَعْني أدافعْ

غبارَ القبيلةِ..

يجتاحُني مثلَ عاصفةٍ

كُلَّما حاولتْ لغةُ الشِّعرِ

تخليصَهُ من ذنوبي..

يُناثرُني كحطامِ كلامٍ بلا قائلٍ

ثم ينْظُمُني

قروياً جديداً بلا سالفٍ،

دونما ذكرياتٍ مع العشقِ والشِّعرِ

والطفراتِ التي تتراكمُ في داخلي

كُلَّما لاحَ لي

هاجسٌ في النجومِ البعيدةِ

أو شعَّ بي كأسُ ما أشتهي

من هشيمٍ وشيكٍ..

يُحاصرُني القرويُّ الصغيرُ
الذي أتملَّصُ من سوطِ عينيهِ
يُجبرُني كي أعودَ إلى زيِّهِ المُتَجَعِّدِ،
يسألُ عن قلمي الخشبيِّ
المُعطَّرِ بالعودِ،
نظارتي التي كنتُ أخفيهِ
خلف تجاعيدِها..
ثم يسألُ عني...، إذا كنتُ أعرفُ
أين مضيتُ وأين تخفَّيتُ
عنِّي وعنهُ وعن طفلةٍ بضَّةٍ
ما تزالُ على وعدِها
في انتظاري..؟

أيُّها القرويُّ..
تعبتُ من الذكرياتِ المُملَّةِ،
منكَ ومنِّي ومن كلِّ شيءٍ

يُقيّدُ ساقيَّ في جذعِكَ

المتورّمِ بالأمنيات البريئةِ..

دعني، فإني أرى ما أُريدُ

وأكتبُ عن لحظتي ما أُريدُ

وأنسى نقاءكَ حين أُريدُ

و....، دعني أكُنْ ما أُريدُ..

تراجعْ..

وقِفْ حيثُ أنتَ بعيداً

غلى الكأسُ.. نامَ النديمُ..

تباطأتِ اللحظاتُ

فماتت ببابِ انتظاري

تساقطَ من شجري

طيّبُ الشِّعرِ يا قرويُّ

وشاخَ على حافتي الاحتضار.

كعادتِهِ

مثل لافتةٍ

في رصيفِ انتظارٍ

تجمَّدتِ الذكرياتُ،

تُحدِّقُ في عابرٍ واحدٍ

مرَّ دون اصطحابِ ملامحِهِ..

وكعادتهِ

مدَّ للظلِّ عكّازَهُ

وأشار إلى نقطةٍ لا مكانَ لها

في الفراغِ البعيدِ..

مضى نحوَها وتضاءلَ

حتى تلاشى بأحضانِها

ثم صارا معاً سالفاً من فناء.

* * *

غدا مقعداً كي يصيرَ رماداً..
تفرَّغَ عقدين من بأسِهِ
يحضنُ الغرباءَ.... ويركلهم..
سرق العابثون سحائبهُ وحشائشَهُ
وبقايا الظلالِ
الذي كان يهطلُ من سقفِهِ..
فاستحالَ إلى صخرةٍ
تُوهمُ العابرين وتُحرقُهم.
* * *

لم يكُنْ برزخاً فاصلا
أو سياجاً أنيقاً، كما يدَّعي،
بين عشقين..
كان جداراً غليظاً دميماً
تجدَّرَ بالأحجياتِ وباللافتاتِ،
وباليأسِ
من أن يرى نفسَهُ
في مكانٍ يليقُ بأحلامِهِ..

جفَّ ماءُ شراييِنهِ قبل
عشرين فصلاً
تقوَّسَ حتى تلامسَ في بعضِهِ،
ثمَّ مالَ على جهةٍ
غيرِ معلومةٍ؛ يتربَّصُ
بالشطحاتِ التي في ثنايا العبورِ.
* * *

ارتدى ساعةً..
وقضى عمرَهُ يتتبَّعُ زحفَ ثعابينِها،
يتظاهرُ بالدورانِ على جسمِها
عكسَ عصفِ الرِّياحِ
وبالانزلاقِ
إلى قمتَينِ افتراضيتَينِ
استعارهما للتَّدحرُجِ نحوَ السماءِ...،

وفي لحظةٍ
لم تكُنْ في مساحاتِ إدراكِهِ؛
تتجمَّعُ من حولِهِ السمواتُ
على بُعدِ عقدينِ من لهوِهِ..
يتظاهرُ بالارتهانِ
لغيبوبةٍ تلوَ غيبوبةٍ..
تتدلَّى إلى الذرواتِ خرافاتُهُ،
ويهيلُ على نفسهِ الانتظار.

كهفٌ هوَ الليلُ

الحبيبةُ نائمةٌ

والقناديلُ يرعشُها الخوفُ..

نام الكلامُ الطَّويلُ

على القارعاتِ..

أنا وقليلٌ منَ الحبر

مُسترخيانِ على بعضِنا

في ضيافةِ ضوءٍ ضئيلٍ..

يموتُ وينجو...،

يحيطُ بنا كسرابٍ بعيدٍ

كخصلةِ شِعْرٍ يميدُ بها الحزنُ،

ومضةِ حلمٍ تلوحُ

على عتباتِ التناهيدِ باسمةً..

الحبيبة نائمةٌ

وأنا والقصيدةُ رهنُ السجالِ

أُراوغُها فتُحاصرُني،

أستجيرُ بها

فتميلُ بأكتافِها عن ملامستي...

ما أزالُ أهزُّ الكلامَ فيسقطُ

شعرٌ كثيرٌ..

أمدُّ يدي لأرتِّبَهُ

فتُرفرفُ

أجنحةٌ من متونِ الحروفِ

ويغدو الكلامُ الجديدُ هشيماً

و....، أغدو غباراً..

لأرجعُ من حيث

جاء بنا أوَّلُ الليلِ..

وحشٌ هو الليلُ

حين تنامُ الحبيبةُ

كهفٌ هو الليلُ

حين تغيبُ القصيدةُ

موتٌ هو الليلُ

حين أُطاردُ ظلِّي

ولا أستطيعُ اللحاقَ بشيءٍ

فلا ضوء،

لا شعر،

لا عشق..

لا ذاكراتُ ولا ذكريات...،

وقلبُ الحبيبةِ

لمَّا يزلْ

في أيادي السُّبات.

سرابٌ من يقين

هِيَ ما أرادتْ أن تكونَ
وما استطاعَ الوردُ أن يحكي
وقال الياسمينْ..

هي قطرةُ الطلِّ التي نسيَ الشتاءُ
زجاجَ نافذتي لديها
منذُ عهدِ العاشقين المُترفينْ..

هي قُبلةٌ سقطتْ على شفتَينِ
ضائعتَينِ في الظَّمأ المكينْ..
هي إسطوانةُ عاشقٍ
عزف الحياةَ بهجسِها
فغدا السَّرابُ روايةً محكيَّةً

والظِّلُّ صار ملوَّناً بالأمنياتِ..

ولم تكُنْ ما شئتَها

يا شوقَ بسمتِها الدَّفينْ..

كانت كما تحتاجُها اللحظاتُ

سرَّاً غائرَ الطعناتِ

مكتوباً على غيرِ الجبينْ..

كانت كما تبغي ضفائرُها،

مساءاتٍ تُقهقهُ

-دونما صوتٍ- بأذني

بل صباحاً واحداً

لا حيَّ فيه سوى الأنينْ..

هي في أناي وفي أناها

قصَّتانِ على جدارٍ هاربٍ،

تتزلجانِ على وريدِ الذِّكرياتِ

فتعزفانِ لي الحنينْ..

أنا ما أرادتْ أن أكونَ...

يدٌ مكبَّلةٌ وقلبٌ خائفٌ

وهشيمُ أغنيةٍ

تطايرَ عقدُها من هزَّةٍ

شرراً.. شظايا....

بل سراباً من يقينْ.

جناحان

للتوّ أقفلَ

عينيهِ هذا المساءُ

ونام على ساعدي نومةً

من حرير..

تدحرجَ

من أسفلِ الأمنياتِ

إلى هامتي يستظلُّ بها..

صبَّ ماءَ متاعبِهِ

في عيونٍ تجمَّدَ واردُها..

هزَّ شوكَ الضلوعِ اليباسِ

بأنفاسِهِ

علَّ قلبي يحطُّ

على راحتيهِ

فيسرقُهُ..

كلُّ شيءٍ تكسَّر

في مُقلتَيهِ:

الجذوعُ.. الأماني..

ترابُ الحكايا

عدا قلبِ هذا الغلامِ

استعادَ جناحَيهِ

في لحظةٍ..

وتناثرَ

في لوحةِ الضوءِ

تسكبُهُ لهفةُ الفنّ

شعراً وأغنيةً

وبقايا سرابْ.

علَّنا نلتقي

كالدُّمى نحن...،

قال الصَّديقُ الذي ماتَ،

منتصبون على هيئةٍ

منذ جاءوا بنا

والمسافاتُ ما بين أحلامِنا

لا تزالُ على عهدِها..

غَلَبتْنا المناماتُ والأمنياتُ،

قضينا نسيرُ برغبتِها

حين ترسمُ؛ نمضي ونمتدُّ

كالمستقيماتِ لا نلتقي.

* * * *

كالدُّمى نحن..

نحملُ آلاتِنا كالمُغنِّين..

لكنَّنا لا نُجيدُ سوى الصَّمتِ،

نعزفُهُ فيصفِّقُ من حولنا كلُّ شيءٍ

لنؤمنَ أنَّا صنعنا من الصَّمتِ

شيئاً هو الصَّمتُ..

نعبدُهُ،

وتُصلِّي له رغبةُ الصَّالحينَ

الذين يولُّونَ أقدارَهم

شطرَ قبلتِهِ علَّنا نلتقي.

* * * *

كالدُّمى نحنُ..

لو كرَّ عشرون كسرى وقيصرَ

ما حرَّكوا نبضةً من حفيظتِنا..

سوف نعتزُّ بالمُنتهي

من تواريخِنا،

وبأنَّا غدونا

هشيماً.. غباراً.. نثاراً..

سراباً أصيلاً يليق بأجدادِنا..

سنُلمِّع آفاقَنا كقلنسوَّةٍ

من حكايا مُبهَّرةٍ بالخرافاتِ،

نحملُ أسيافَنا والدّروعَ الأنيقةَ،

لن يستطيعَ الحديدُ

الذي جهَّزوه لنا

أن يغوص بأحشائنا..

قد يُثلِّمُ أطرافَنا لو يُصرُّون...
لكنَّهم يعشقون التماثيلَ،
يهدونها للملوكِ الأكابرِ..
لن يثلموا طرفاً واحداً
سنظلُّ - على الرغمِ من خوفِهم-
زينةً في زوايا معيشتِهم،
سوف نغزو منازلَهُم ومتاحِفَهُم
يعتلينا ترابُ التذكُّرِ،
نعتادُهُ..
ونموتُ ونحيا مراراً كأسلافِنا.

رأس في المشهد

أزعمُ أنّي
كنتُ أُرمِّمُ هذا البابَ
وأفتحُ نافذتي للريح، لتعبر
ساقاها أوردتي..
أزعمُ أنَّ كلاماً أكثرَ مما قلتُ
تساقطَ سهواً من أشداقِ الحائطِ..
كان كلاماً لا أذكرُ أني أتقنتُ
سوى الإنصاتِ إليهِ..
وكان كلاماً من عسلٍ أو من كسلٍ
أو من نسيانٍ مدلوقٍ..

كان ذبابُ العشقِ يُغطِّي اللحظةَ
مفتوناً بالكسلِ الأشهى،
كان يُصفِّقُ
كي تنتظمَ الإيقاعاتُ ويهتفُ
للتعبِ المتأهِّب كي ينقضَّ
على إطراقي..

كان يُغنِّي بلغات الإيماءِ
ويرفعُ عن قلقِ الجدرانِ نقاباً
من أعباءٍ،
كان الجُدَريُّ يُراكمها
مُدَّخراتٍ لغدٍ سوف تُتَمِّمُه
طعناتُ الخوفِ من المجهولِ..
* * *

وكان الوقتُ يحينُ ويمضي
ثم يعودُ يضفِّرُ مرساةَ ترقُّبِهِ..
كان يشيخُ ويولدُ...
يولدُ ثم يشيخ
ويمسكُ
ذيلَ تداولهِ والرأس..

اعتاد الوقتُ على أن يرفلَ
في طغيان المشهدِ،
لم يأبه بالملِ الملقاةُ روائحُهُ
في الطُّرقاتِ، وبالرأسِ
المسجونةِ في اللوحةِ..

لم يحدث أن يُلقيَ بالاً بالرُّؤيةِ
كان يُكدِّسُ في عينيه
ترابَ العتمةِ،
ثم يمرُّ مرورَ كرامٍ ما كرموا
إلا في الكيد،
وفي تقبيلِ يدِ العثراتِ..
وكان الوقتُ قنانيَ فارغةً
يجمعُها المشهدُ للتكسير..
وكان الوقتُ تراباً منثوراً
في وجهِ اللعبةِ..

* * *

كان مكاني

محجوزاً في صدرِ المشهدِ..

أجلسُ محروساً بضجيجِ القلقِ

الصاخبِ

مُقتعداً كُرسياً أعرجَ..

أهطلُ عرقاً أحياناً فأُوسِّعُ

ما حولي..

حين أميلُ يؤرجحُني

الكرسيُّ الغادرُ

ثم يُكركرُ في وجهي وكأنِّي

لُعبتُهُ الفُضلى..

أتماسكُ..

في حين ذبابُ المشهدِ يُقلقُني...

وذبابُ المشهدِ أحذقُ

من أن تهزمَهُ تلويحةُ كفٍّ

أو نظرةُ تهديدٍ تكبحُهُ حين يغيرُ

على كلِّ تفاصيلِ المشهدِ..

أحزمُ كلَّ متاعِ الصبرِ....

وأنهضُ...

ثم أهمُّ بشيءٍ لم أقصدهُ..

يضيقُ مكاني كالمعتادِ

فأنهرُه..

وأعودُ أُوسِّعُ

خارطتي في صدرِ المشهد.

ظنون

كُلُّ مساءٍ
تصبُّكِ علبةُ ألوانِهِ
وتبثُّكَ ريشتُهُ
لا يطيقُ السُّكونْ..

كلُّ مساءٍ تحطّينَ فوقَ نوافِذِه
وتهزّينَ ماءَ ستائرِهِ
يتحوَّلُ حين أنوءُ بهِ
بللاً وجفونْ..

كلُّ مساءٍ
ترجّينَ أقداحَهُ وحقائبَهُ
يتساقطُ فوقَ هجوعي
قصائدَ موجِعةً
وأغانيَ محفوفةً بالشُّجونْ..

كلُّ مساءٍ يعاقرُ ذِكراكِ

يحزمُ أمتعتي

وشجوني

ويقتادُني في ثمالتِهِ

حيث لا يرجعونْ..

كُلُّ مساءٍ فتىً

تجرحينَ اخضرارَ

طموحاتِهِ

تتخثَّرُ رائحتي بين أزهارِهِ

والغصونْ..

كلُّ مساءٍ يُصعَّرُ قلبي

لنارَيكِ يصبحُ منفضةً

لرمادِ دمٍ

لم يجدْ ما يكونْ..

كلُّ مساءٍ تريدينَهُ

أنْ يُعذِّبَني

أتدحرجُ فوقَ نتوءاتِهِ

ثم يُشعلُني في رفوفِ المُنى

قمراً تالفاً

صَلَبَتْهُ الظنونْ..

كلُّ ليلٍ ضريرٍ مضى

كانَ يحملُ كافي ونوني

ليجْتازَ بي خَرَفَ الظُّلماتِ

فيوقعُني

في يدِ الليلةِ الحَيزبونْ..

كلُّ مساءٍ صبيٍّ سيأتي

سيكسرُ نعشَ ظنوني

بعيداً...

ويحملُ في وجهِهِ

عشراتِ العيونْ.

شوارعُ أُخرى

عند مفترقِ الشارعينِ

انتظرني

فإن جئتُ سِرنا سوّياً،

وإن طال عنكِ غيابي

تأمَّلتَ مَن يعبرون جوارَكَ

دون وجوهٍ..

كثيرون في حيّنا

يحملون ملامحَ حزني

كثيرون قد طعنوا العمرَ

في مقتلٍ، وأسالوا

دماءَ السِّنينِ بلا طائلٍ..

عندَ مُفترقِ الشارعينِ

سيشتمُّ نعلاكَ رائحةً

ليس يتقنُ توليفَها

موعدٌ آخرٌ..

عندَ مُفترقِ اللحظتينِ

ستجتاحُ فوضىً طبيعيةٌ

حلمتَي أُذنيكَ

ويعبرُ

بردٌ شديدٌ مسامَكَ،

خوفٌ مديدٌ خُطامَكَ،

حُزنٌ جديدٌ مقامَكَ،

موتٌ بعيدٌ كلامَكَ..

سوف تؤجِّلُ ما جئتَ من أجلِهِ

حين تعبرُكَ اللحظاتُ

التي عشتَ ترقبُها،

وتُفتِّشُ في هجسِها عن قِناعٍ

يليقُ بعرشِ الكتابةِ،

رزقٍ بسيطٍ

يؤخِّرُ موتَ القصيدةِ..
تبحثُ عمَّا نظلُّ
نظنُّ أبا الطيبِ المُتنبي
أوصى به من نصيبٍ زهيدٍ
بميراثِهِ
لم تمرَّ عليهِ الأيادي،
أيادي الملايين من إخوةٍ
شعراءَ يتوقونَ
للاتِّكاءِ على عرشِهِ..

عندَ مُفترقِ النظرتينِ..
انتظرني...
سآتيكَ مُمتطياً رغبةَ الابتكارِ
وبين يديَّ الهدايا
التي كنتَ أنت
تُجيدُ التهرُّبَ من صهرِها
في هشيمِ الخيالِ
وتغليفَها بالكلامِ الأنيقِ..

سآتيكَ مئتزراً حاجتي

وحوائجَكَ المُهملاتِ

وآتيكَ

فوقَ شفاهي كلامٌ جديدٌ،

على كاهلي أُمنياتٌ أجدُّ

وفي جنباتِ خيالي

شوارعُ أُخرى مُنمَّقةٌ

لا مكانَ بهندامِها المُتجدِّدِ

للافتراقِ..

انتظرني هنالك...،

حيثُ البدايةُ تشرعُ أبوابَها

لجيوشِ التمنِّي، وحيثُ

النهاياتُ لا تستطيعُ الكُمونَ

وحيثُ نُواري بلحظتِنا

سوأةَ الذكريات.

مساحاتٌ مُتاحة

ارتعشت طقوسُكِ يا كتابةُ
واستعدَّتْ
لاجتراحِ بدايةٍ أخرى
مؤطَّرةٍ بطوقِ الاحتياجِ..
إلى مهاربَ
ليس يدركُها رقيبٌ مُجحفٌ
أو يستجيرُ بها امتناعٌ واجفٌ..

يا حبرُ.. لا تجمدْ
ولا تسمحْ للونِكَ أن يصيرَ
غوايةً ممقوتةً
أو يستحيلَ إلى مزاميرٍ
يشبُّ غبارُها الحاجاتِ،
تستهوي معازفُها
البريقَ

وتشتريها رغبةٌ آنيَّةّ،

أو تستعيرُ صوابَها الأهواءُ..

يا كلماتُ.. لا تنسي

لأنَّ مقابضَ النِّسيانِ جمرٌ

لا عيونَ له

وأنتِ دخانُ أحلامٍ

وهاجسُ ذكرياتٍ لا تموتُ

ولا يُعاقرُها فناءٌ..

جرِّبي أن تُمعني في الاتِّساعِ

لتضمني عُمُراً جديداً آخراً

واسترجعينا

كُلَّما جفَّت مآقينا

وأعلنتِ القلوبُ الاعتزالَ..

تنفَّسي من كلِّ خاطرةِ اختناقٍ
واركضي في كلِّ ما سرقَ الفضاءُ
من المساحاتِ المُتاحةِ..
رتِّبي الخطوَ الأنيقَ
ووزِّعيهِ
على الجماهيرِ الغفيرةِ...
من ملائكةٍ
وكُتَّابٍ
وجوعى مُعدَمِينَ

تناثري في الصَّمتِ..
سدِّي ثغرَهُ واستوطني ألوانَهُ
دُخنا وداخت حولنا الأبصار.

ليس حتى...،

عُدْ أيها الشِّعرُ..

انتظرنا..

لا نزالُ نجلُّ سحرَكَ،

لا يزالُ على شفاهِكَ وعدُنا

أصبى وأشقى..

لا تزالُ منابتُ الكلماتِ

تُشرقُ بيننا..

يا شعرُ.. ما زلنا

نريدُكَ مثلما كُنَّا وأكثرَ..

نشتهي أن نستريحَ

على كفوفِك..

أن نُقيمَ

صلاتَنا في صرحِ قلبِكَ..

في جفونِكَ أن ننامْ..

أن نكونَ
قصيدةً عبرت خيالَكَ،
ليس حتى يستقيمَ الوزنُ
في مُتفاعلِنْ
أو تنتهي صِلةُ الكلامْ..

يا شعرُ.. عفوَكَ
إنَّ في صلةِ القرابةِ
بيننا كَلِماً كثيراً لم يُقَلْ،
ما زال دربُكَ يانعاً..
لا بدَّ أن ننسى السياسةَ
والنجاسةَ والقبائلَ والعساكرَ
كي نظلَّ على وفاقٍ..
ليس حتى
يستقيمَ الحالُ في مُتقاتلٍ
أو يستقرَّ بنا وئامْ..

يا شعرُ.. عذراً..

كم مضى مُنذُ افترقنا؟

مرَّ عامٌ..؟! ربما عامانِ..

سيفٌ..؟! ربما سيفانِ..

عمرٌ..؟! ربما عُمرانِ..

لكنَّا أخيراً قد أفقنا

نقتفي

ما ظلَّ من خطوٍ أنيقٍ

نستعينُ به على أوزارنا..

يا شعرُ.. شاخَ بنا

المسيرُ على نصالِ الصدِّ،

ماتتْ في مآقينا لغاتُكَ

فاستعدْنا

من جديدٍ في قوامِكَ،

في نشيدٍ من مقامِكَ..

ليس حتى يستقيمَ القولُ

في مُتشاعرٍ ويضيعُ

بين متاعِنا حتَّى السلامْ.

لا تكُنْ قبراً

هذي الأماسي المكفهرَّاتُ

القلوبِ.. الدَّامعاتُ شجونُها..

من أين تأتي..؟

ليس فيها ما يليقُ بنا

وبالعُشَّاقِ، بالشُّعراءِ والغاوين..!!

يا ليل..

انسحب عنا قليلاً..

لم نعُدْ نشتاقُ

حين تكونُ فينا..

لم تعُدْ تلك الحكاياتُ الجميلةُ

والقصائدُ والتناهيدُ البسيطةُ،

تستطيعُ العشقَ..

دعنا نسترحْ يا ليلُ

من كِسَر العتابِ

ومن شظايا ذكرياتكَ..

لم يعُدْ فينا دمٌ للنزفِ،

أو شعرٌ يُرمِّمُ

ما تُخلِّفهُ عواصفُكَ البليدةُ..

لا تقفْ في القُربِ..

لا تعصفْ

برائحةِ الهدوءِ،

ولا تكُنْ قبراً عميقاً للأماني..

ما يزالُ هناك شيءٌ

يستحقُّ العيشَ حين تغيبُ..

فاتركنا

نُفتِّشْ عن بقايانا

التي ناثرتَها، فلعلَّ فيها

ما يجيدُ الاعترافَ بما فعلتَ.

* * *

يا آخري..

يا أولَ الكلمات،

مفتاحَ التخيُّل والكتابةِ

والحنينِ..

إذا سكبتَ نجومِكَ الثملاتِ

لا تركنْ إليَّ

فإنَّ أسراري مبعثرةٌ،

جيوبي مهدراتٌ،

واكتمالاتي مُجرَّدُ أمنياتٍ..

صفحتي بيضاءُ،

هجسي لا نوافذ فيه،

لا أبوابَ..

قلبي ملعبٌ للريحِ،

سقفي آيلٌ لنهايةٍ أخرى،

جناحاي استماتا باكراً،

ريشي غدا رثاً،

عباراتي تقاومُ آفةَ الثغراتِ،

وصفُك صار إحدى فوَّهاتِ الغيبِ..
صرتُ حكايةً
وغدتْ جهاتي لا تقودُ إليَّ ....

يا ذلك المُختالُ في جسدي
ويا هذا الذي تحتلُّ رأسي،
قرِّبا أذنيكما منِّي
سأصرخُ من وراءِ جداري المهدومِ،
فالتقطا سرابي
خبّآني في ضجيجِكما
وقولا إنَّني المكلومُ هاجسُهُ..

تعالوا يا أولئك.. أفسحوا
لاسمي مكاناً في تزاحُمِكم..
هنالك نقطةٌ
سقطتْ من النصِّ المقدَّسِ
صار نورُ نبوءتي خطَّاً ضئيلاً
تستدلُّ به قوافلُكم..

سأنسى أين أذهبُ كلَّما صار
الصَّباحُ يداً، أصافحُ غيرَهُ
وأظلُّ أركضُ
خلفَ ما ترَكَ الغُزاةُ
مِنَ الوصايا الصُّفرِ..

يركضُ خلفي الأحفادُ
والأجدادُ والباقونَ
من عهدِ النبوَّاتِ الكسيرةِ،
من رعايا الحاكمِ المقتولِ،
من نسلِ البُغاةِ
المُبتغينَ طهارةً بدمي.

أرصفة

يجيئونَ
من نجمةٍ لا مكانَ لها
ومضةً مُرهفةْ..
يسيلونَ لا يلمسونَ طريقاً
ولا تتذوَّقُهم أرصفةْ..

تجفِّفُهم ضحكةُ الشمسِ،
تدلقُ ألوانَهم في كفوفِ الرَّمادِ،
تُفتِّتُ قاماتِهم كسرةً كسرةً،
ثم تقنِعُهم
أنَّ ظلَّ الغروبِ يُمثِّلُهم
عندما يقفلونَ يجرَّونَ
أثقالَه المُجحِفةْ..

ويغرِقُهم من جديدٍ
ترابُ التأسُّفِ للجوعِ
حين يمدُّ يديهِ،
ويفرشُ في آخرِ الظلِّ أحلامَهُ،
حين يرسم طبشورُهُ بينهم
والسَّماءِ يدَ الأرغفةْ..
لتبترَها ريحهُ المُسرفةْ...

إنَّهم شعراءُ..
يفيقونَ حين ينامُ الضجيجُ
فيكتشفونَ بأنَّ الضجيجَ،
الذي ماتَ قبلَ قليلٍ
بلا تكلُّفةْ،
طوى، في يديهِ المُسافرتَينِ،
مفاتيحَهُم وقصائدَهُم
وطوى مِعطفَه..

وأنَّ تلمُّسَ جفنيهِ والانزواءَ

وراءَهما لعبةٌ مُكلِفةْ..

وأنَّ الحياةَ بدون الضجيجِ

الذي وأدوه سماءٌ مُعلَّقةٌ

في سماءٍ مُعلَّقةٍ

لا مدى.... لا طريقَ....

ولا أرصفةْ.

الطَّارئون

يتصافحونَ...

يُمسِّحونَ أكفَّهم بأكفِّهم،

يتغامزونَ ويُضمرونَ وينصبونَ

شِراكَهم..

يجري على أحلامِهم سيلُ اللعابِ

ويهمسونَ لبعضِهم كي يجهروا

يوماً بأنَّ الماءَ بات

على سواقيهِ

وأن الحقَّ

عاد إلى رصيدِ الأتقياء..

وسوف يلتفتونَ

صوبَ ملامحِ المرآةِ

يقتسمونَ كلَّ مساحةٍ فيها

يناسبُها البصاقُ...

ويُقسمونَ بأنَّهم أوفي

منَ التاريخِ للتاريخ..

أنقى من بياض الأنقياء..

يُراوغونَ، يُخادعونَ،

يُزيّفونَ ملامحَ اللغةِ البسيطةِ

بالدُّعاء وبالبكاء..

ويصفقونَ بوجهِ بعضٍ

بابَ حاجتِهم إلى مجدٍ عتيقٍ

لا يليقُ بغيرِهم والأنبياء..

الطَّارئونَ،
كما تقولُ لنا الطبيعةُ
والتقاليدُ العريقةُ زائلونَ..
لأنَّهم خطٌّ على رملٍ،
غبارٌ في سماءٍ
أو دخانٌ ليس يمسكُهُ بقاء..

الطَّارئونَ
على نواصيهم علاماتٌ مقدسةٌ
وفي أهوائهم سرُّ البغاء..

الطَّارئونَ....
سيلهجونَ بحتفِهم، وكأنَّهم
ملُّوا الوجودَ بما عليه..!!
استأثموا أن يصبحوا شيئاً نزيهاً
أو علاماتٍ لفجرٍ صادح
فاستعجلوا الحسراتِ، واجتاحوا
مظاهر زيفِهم كي لا تضاءْ..

غيبوبةٌ أخرى...، ولكن.....

• مَنْ يُراهن أنَّهم صاروا تراباً

في حواشي يقظةٍ مسمومةٍ..؟

- نهضوا يشبون الحرائق،

ألَّهوا وجه الدخان،

فخانهم وجه الفضاء..

تبادلوا طعناً وقذفاً.. ثم

تاهوا في السراديبِ القديمةِ

يكمنونَ لبعضِهم،

يتقاذفونَ ببعضِهم، يُهدونَ

للشرفاء منهم كلَّ أوسمةِ الفناء..

• ويكتفون

بما على الدَّنيا لأنفسِهم.....؟

- .... ويقتسمون أيضاً كل ما يحتاجه

قتل الوفاء..

الطارئون

بدوا كأيِّ خطيئة ممقوتةٍ،

فجأوا توازننا كأي وقيعةٍ

فقأوا بقية مجدهم

بحكايةٍ مرويةٍ للأغبياء..

نهايةً للزيفِ

سوف تموتُ نشوتُهم

وينسى الطَّارئونَ يدَ الولاء..

وسوف يعترفونَ أن هناك

شيئاً ناقصاً كي يدركوا

نقصانَهم..

سيُعاتبونَ اللهَ

حين يطئطئونَ بقهرِهم

وتنامُ فوقَهمُ السماء..

سنَّارةٌ معقوفة

يضعُ الفراغُ متاعَهُ في كُلّ نافذةٍ
ويهتفُ في شتاتِ العابرينَ:
تَجَمَّعوا...،
يُلقي حكايتهُ
وتفركُ حاجبيهِ أناملٌ مسروقةٌ..

يجترُّ أثقالَ المواقيتِ الرتيبةِ،
يرتدي أجسادَها،
ويشدُّ أكتافَ الأناشيدِ المُملَّةِ،
يمتطي أحلامَها المُلقاةَ
منذُ بدايةِ التكوينِ..
يمنحُها وعوداً مثلَ عادتِهِ،
ويسكبُ في جيوبِ الانتظارِ
مزاعماً أُخرى..

يناثرنا هدايا في وجوهِ
البائسينَ الطامحينَ
المُغرمينَ بما تجودُ به الأماني
من سرابٍ مُفرطٍ..
يقتاتُ منا
ما يعيل المؤمنينَ برزقِهم
والنائمينَ على عراءاتِ التمنِّي..
يا فراغُ..
تمنَّ أنتَ إذا ظفرتَ بفرصةٍ
أن تستريحَ ولو ليومٍ واحدٍ
من كُلِّ هذا العبءِ..
كُن سنَّارةً،
خيطاً،
وطُعماً مُغرياً
كُن أيَّ شيءٍ
تستطيعُ الاتِّكالَ عليهِ

كُن:

- وعداً ولو مُتناقضاً..

- حلماً ولو مُتهالكاً..

- أوهامَ عاشقةٍ

تمكَّنتِ العنوسةُ من ترقُّبِها..

- جديلةَ طفلةٍ ظلَّتْ

بإبطِ الرّيحِ عاماً كاملاً

وتناثرتْ في وهلةٍ..

- أسرابَ وهمٍ ثائرٍ

نامت متاعبُهُ ببابِ الافتراضِ..

- حكايةً،

- أسطورةً،

- رؤيا،

- خُرافةَ عاشقٍ...

كُن أيَّ شيءٍ

غير مُمتلئٍ بشيءٍ

يا فراغُ..

تهدَّلت سِنَّارةُ الرُّؤيا،
تهتَّكَ خيطُها..
واحدودبتْ
أضلاعُ حلمِكَ يا فراغُ..
تعالْ.. نسترجعْ دفاترَنا معاً
ونعدُّ أسطُرَنا التي سقطتْ
وسالَ على جوانبِها البياضُ..

تبرَّأتْ من كلِّ شيءٍ
لا يُشابهُها
فماتت كالأجنَّةِ في الدُّجى..
صارت غُباراً مالحاً ونثارَ
عاصفةٍ عجوزٍ، أو بخارَ
حصىً سجينٍ في رِئاتِ الأرضِ..

يكفي يا فراغُ.. تراكمَ الملَلُ
الثَّقيلُ على جِهاتِكَ
لم يعُدْ للضَّوءِ منفذُ إبرةٍ
هرمتْ ظنونُكَ كلُّها
وانشقَّ وجهُكَ
عن مغاراتٍ متوّهةٍ
وريحٍ لا تكفُّ عنِ التنذُّرِ
بالنهاياتِ التي أدركتَها..

يكفي.. تناثرتِ المجرَّاتُ
التي جمَّعتَها..
صارت غُباراً في عيونِكَ
مُوجِعاً
وغدوتَ أنتَ مواجِعاً،
سِنَّارةً معقوفةً
تصطادُ عيناها أصابعَ رجلِها..

وغدوتَ مرآةً مُهشَّمةً

تزلَّجَ فوق صفحتِها الزَّمانُ

نكايةً وكنايةً

فغدت أخاديداً مُطوَّقةٌ

هوامشُها بباقي ذكريات.

لصنعاءَ.. بعضُ قصيدةٍ

وبدأتُ أكتبُ...

في يدي كأسُ دمٍ أنقى

منَ الياقوتِ،

في رأسي مناحاتٌ وتابوتٌ قديمٌ،

في عناويني اعترافٌ

ضالعٌ في الحزنِ،

في شعري نحيبٌ لا يجفُّ،

على فمي حبرٌ أمرُّ من البكاءْ.

وبدأتُ أكتبُ...

لستُ أدري أنَّني أجترُّ حزنَ مدائنٍ

سرقتْ ملامحَها الخياناتُ العظيمةُ

واستبيحتْ في مداخلِ عشقِها

الأحلامُ والآمالُ

والوعدُ المُضمَّخُ بالرجاءْ.

وبدأتُ أكتبُ...

فلنقلْ... وبدأتُ أضفر

حزنَ صنعاءَ الصبيةِ فوق أوراقي..

أوزِّعُ في شوارعِها اعتذاراتي

ألملمُ جرحَها المبحوحَ،

أقرأُ ما تيسَّرَ

من قصيدتِها عليها

علَّها تنسى دويَّ مواجعي..

وأنا أُبادلُها الوفاءْ.

وبدأتُ أكتبُ...

كي أقولَ لطائرِ الشؤمِ: انتظرْ..

حلِّقْ بعيداً عن براءةِ حلمها،

عن طفلِها المجروحِ،

عن أسفارِ مَنْ كتبوا حكايتَها،

عنِ التاريخِ حين يفوح

من ياجورِها..

وعنِ المشاقرِ والمآذنِ
والنشيدِ إذا تردَّدَ في مفارجِها
أصاخَ السَّمعَ حُرَّاسُ السَّماءْ.

وبدأتُ أكتبُ...
بل أُفتِّشُ في أعالي القلبِ
عن قبسٍ ضئيلٍ
لم تطلْهُ يدُ الخيانةِ..
عن فراغٍ لائقٍ
لأصبَّ فوقَ بياضِهِ هذا الرثاءْ.

وبدأتُ... أتعبُ....
إنَّما لا بأس يا صنعاءُ..
نامي.. ليس أكثرَ من بقايا طائرٍ
ما حطَّ فوق زجاجكِ المصقولِ..

أُغنيةٌ وأمنيةٌ وبعضُ قصيدةٍ
تكفي لتبتسمي

وترتطمَ الطيورُ ببعضِها

وينوءُ وجْهُ الزيتِ والمازوتِ بالعارِ..

استريحي يا حبيبةُ

لم يعُدْ في الكيد مُتَّسعٌ لقهرِكِ

فالتفاصيلُ الصغيرةُ لم تعدْ

مستورةً..

والعُهرُ أصبحَ في العراءْ.

وبعضٌ آخر لعمران

لِعَمْرانَ

أشجانُها المورقاتُ

ولي في بساتينِها ما زرعتُ

مِنَ العشقِ والأمنياتِ البسيطةِ

والذِّكريات..

لِعَمْرانَ كانت

تبثُّ أساريرَها فوقَ حلمي

النجومُ

فيكبرُ حتى أنوءَ بهِ..

كان لي في بساتينِها ثمرٌ طيّبٌ

كُلَّما جئتُ أقطفُهُ

صار سُكَّرُهُ علقماً وصعاباً

وأشطارَ وهمٍ..

تقاسمتُ، دهراً،

حكاياتِها، والضبابَ..
فصادرَها الغيمُ.. شلَّ خُطاها،
وقطَّعَ كلَّ الدروبِ إليها..

لِعَمْرانَ غصَّتُها في الدُّموعِ
وشهقتُها في حكاياتِ
ذاك الفتى القرويِّ الذي غصَّ
بالشَّوقِ عند البواكيرِ
نامَ وعيناهُ مفتوحتانِ
لئلا يموتَ فتجهشُ أحلامُهُ
في سطوحِ منازِلِها..
بل لئلا تموتَ الصبيَّةُ ذاتُ المواعيدِ
أو تتناثرَ في الصِّيتِ
تلك الحكاياتُ عن عشقِهِ
وقصائدِهِ والحبيباتِ
إذ تتبرعمُ أحلامُهنَّ على صدرِهِ
كُلَّما اشتمَّ طينَ السَّواقي
وذاقت قصائدُهُ ما تريدُ من التّيهِ..

لِعَمْرانَ هجسُ الطُّفولةِ

أنضجُ مما حكاهُ امرئ القيسِ

في عشقِ دمُّونَ..

أكثر مما يجيدُ فتىً آخرٌ

لم يذُقْ من عناقيدِها

خمرةَ الأمنياتِ..

لِعَمْرانَ دربانِ

حين أعودُ إلى حضنِها:

- دربُ عشقٍ

تدحرجتُ فيه مع أثلةٍ

أزهرتْ في جديلتِها بصماتُ يديَّ

وفي نُضجِها صبواتٌ من الشعرِ

والأغنياتِ..

- وآخرُ أعشبَ بالحزنِ

والخوفِ من كلِّ شيءٍ

عدا طفلةٍ

كانتِ الظلَّ والغيمَ والسَّاقية.

لئلا تموت بخيلًا

أيُّها القرويُّ..
تعبتُ من الذكرياتِ المُملَّة،
منكَ ومنِّي ومن كلِّ شيءٍ
يُقيِّدُ ساقيَّ في جذعِكَ
المتورِّمِ بالأمنيات البريئةِ..

دعني، فإني أرى ما أُريدُ
وأكتبُ عن لحظتي ما أُريدُ
وأنسى نقاءكَ حين أُريدُ
و..
دعني أكُنْ ما أُريدُ..

تصميم الغلاف: محمد عبد القوي مصيلحي

9 781916 863262

دار نشر عناوين BOOKS
رؤية عصرية للنشر